الفتاة التي لا تمشي
وعقلها يركض..
قالت لي:

لا أخجل من الكرسي.. هل يخجل الانسان معلمه!!

في البحرين لا يشعر المعاق باعاقته!!

● اعضاء اللجنة الوطنية للمعوقين مع سمو الأمير

● منيرة بن هندي

المقطع الأول :

انغام موقعة .. أصوات هادئة تنبعث من الداخل تنفذ الى القلب فتثير فيه معنى الارادة الانسانية التى تفلق الصخور وتشق الطريق فى الجبال الوعرة :

«يمكن أطيح ..» .
«يمكن أصيح ..» .
«يمكن يصدمنى حجر» .
«لكن أكيد ساكون سعيد» .
«واكون عبرة للبشر» .
«خلونى أمشى فى الشوارع» .
«خلونى أعمل فى المصانع» .
«لكن أكيد ساكون سعيد ....» .

المقطع الثانى :

مكان ضيق جدا ، متواضع جدا فى مبنى المركز البحرينى للحراك الدولى .. فتاة فى مقتبل العمر كلها نشاط تستولى على مكامن القلب وتهيمن على النفس ..

استقبلتنى بدون «برتوكول» وقد تحلق حولها من تسميهم «عيالها» ، فاطمة ، على ، عادل ، وآخرون داخل المكتب وخارجه !

فلاش باك ..

قبل دخولى للمكتب كنت أحاول ترتيب الكلمات وتصفيفها على لسانى وانتقاءها بعناية .. ووضعت لنفسى خطوطا حمراء .. لكن فى لحظات قليلة انهدت الخطوط ووجدت أن «الفتاة» قد حررتنى من عقدى وترددى وأنا أخاطبها بدون القاب وبلا حرج منيرة بن هندى !

***

قلت لمنيرة ..

□ جميع من حدثونى عنك لمحت فى عيونهم نظرات الانبهار بشخصك ! ما السر فى ذلك ؟

■ أظن أن المجتمع كان يتوقع من منيرة أن تكون انسانه عادية ترضى بما هو موجود .. ولكننى لما سعيت الى إثبات الذات عن طريق العطاء المتواصل من أجل تغيير نظرة المجتمع ، أصبح الناس ينظرون الى نظرة إعجاب قد تصل الى درجة اعتبارى «شاذة» عن المألوف !

□ لم لا يكون ذلك من باب الإعجاب والحب والتقدير ؟!

■ هذا ممكن .. بل إنى ألمسه فى كثير من الأحيان .. ولكننى أحدثك عن ظاهرة خاصة بسيكولوجية المجتمع !!

□ ما الذى جعل من منيرة بن هندى هذه الشخصية المتميزة المنطلقة ؟؟

■ السر فى الطفولة والأسرة والتربية ..

كان أهلى يواجهوننى بواقعى دون مكياج وتزييف .. والتربية الواقعية تجعل المعاق يتحرر من عقده وبذلك يسهل عليه الاندماج فى المجتمع ومواجهة المستقبل بثقة ..

وتسرح منيرة بعيداً كأنما تستعيد صورا محددة :

■ كان اخوتى يرددون أمامى وباستمرار جملة لم أنسها ولن أنساها ما حييت .. لقد كانوا يقولون لى : «أنت لا تمشين ، هذه حقيقة لابد من التسليم بها .. ولكن ذكاءك قادر على جعلك تركضين ..» .

لقد كانت أسرتى فى البداية هى الرافعة التى انتشلتنى ونفخت فى كل معانى القوة والايمان بالله وبالنفس .. وبأن الارادة البشرية قادرة على صنع المعجزات ..

□ كيف كانوا يعاملونك ؟ هل كانت معاملتهم لك معاملة مميزة تتماشى مع وضعك الخصوصى ؟

■ لم يكن لى وضع خصوصى هذا الكلام من الأوهام التى يصنعها المجتمع .. لقد كان أهلى يعاملوننى كبقية أخوتى بالضبط بلا تمييز ، لا شفقة ولا محاباه ..

كثيرا ما كنت أحرم من النزهة أو من المصروف اليومى .. بالاضافة الى ذلك كنت أصر منذ الطفولة على أن أكون مثل الآخرين .. ألعب مع الأطفال وأتخاصم معهم .. أقذف حتى الحجارة مثلهم ..

□ هل كان هذا السلوك عفويا من قبل أهلك ؟

■ أمى لم تكن مثقفة ووالدى كان عاديا لم يكن صاحب أفكار .. ومع ذلك كانا حريصين على «تحريرى» لقد أدركت منذ البداية أن هنالك خطة ينفذها أهلى من أجل خلق شخصية متميزة .. وأعتقد أنهم نجحوا فى ذلك ..

قلت مستفزا :

□ ألا تشعرين بأن الكرسى يعيقك ؟

ردت بإنفعال بدا على وجهها وفى نبرات صوتها :

■ بالعكس ..

□ أقصد ألا تشعرين بعقدة الكرسى ؟ ..

■ حكايتى مع الكرسى حكاية عشق ووجد .. أنا أعشق الكرسى .

أنا مدينة له بتعليمى الحركة .. هل يمكنك أنت مثلا أن تتنكر لمن علمك ؟ هل يمكنك أن تشعر بعقدة إزاء معلمك ؟؟

سأروى لك حادثة ولكنها عميقة الدلالة .. كنت فى بلد عربى لحضور مؤتمر خاص بالمعوقين .. وبينما كنت أتجول بالكرسى ، كان هناك أب يسير وراءه ولدان فلما رأنى الطفلان انشدا الى المشهد «الغريب» حتى وقعا أرضا .. قلت للوالد تواً : أليس من العيب أن لا تعلم إبنيك بأن الشخص الذى يستعمل كرسيا ليس «كائنا غريباً» أتى من كوكب آخر .. فى المساء وأثناء الندوة قلت للمسئولين : أتركوا المعاقين ينزلون الى الشوارع حتى يتعود الناس على رؤيتهم .. هذا جزء من تغيير سيكولوجية المجتمع !

قلت لمنيرة : وحكايتك مع التعليم ؟؟

■ بدأت حكايتى مع التعليم بمكالمة هاتفية ..

كنت قد أنهيت تعليمى الابتدائى (منازل) ولما هممت بالدخول الى التعليم الاعدادى خفت أن لا أقبل لأن التعليم الاعدادى يشترط للتسجيل فيه عنصر المداومة .. واستبدت بى الفكرة ذات يوم فرفعت السماعة .. وكانت على الخط السيدة نادية العمران .. رجوت منها أن تمكننى من مخاطبة سعادة الوزير ..

ـ سيدى الكريم ، هل للمعوقين حق فى الدراسة أم لا ؟

ورد على الوزير باندهاش بدا فى صوته :

* من أنت ؟

ـ قلت أنا بنت فى الثانية عشرة من عمرى ..

ولم أكمل بقية الجملة وجاءنى رد سعادته حاسماً :

* إن وزارة التربية تفخر بأن تكون بنت الاثنتى عشرة سنة رغم إعاقتها .. هى التى تخاطب الوزير بهذه الفصاحة واحدة من تلميذاتها .. والتعليم حق للمعاق ولغير المعاق .. ونحن نفخر بك ..

ودخلت رحلة التحدى ..

□ لماذا تتحدثين عن التحدى ؟

■ أصدقك القول لقد كان دخولى المدرسة ضربا من ضروب التحدى لقد قررت بينى وبين نفسى أن أكون أفضل طالبة ..

وكان لى ما أردت ..

لقد احتضنتنى المدرسة روحيا وانسانيا وعلميا .. وجدت القوة والرعاية من الأساتذة : نادية الصفار ـ والأستاذة نعيمة مطر والسيدة ملك ، ونادرة الجمل وعائشة الصادق وأخريات كثيرات كل واحدة منهن لعبت دورا معينا فى حياتى .

ولى ذكريات لا تنسى خاصة فى المدرسة الثانوية ..

وتوقفت منيرة عند هذا الحد : هل نقفل الموضوع ؟ ألا يكفيك هذا .. اننى تحدثت عن نفسى كثيرا وإننى أريد أن تتحدث قليلا مع «عيالى» ..

ولم تعد منيرة الى الحديث معى إلا بعدما وعدتها بأننى سوف أخصص للآخرين لقاءا خاصا ..

قلت : ألا يمكن أن تروى لنا بعض حكايات المرحلة الثانوية ؟

■ سوف أعطيك مجرد إشارات :

ـ مدرسة اللغة العربية كانت دائما تقول أيام إمتحان التعبير وكنت أنا التى تصدر موضوعات التعبير الى كثير من زميلاتى فى الدور التحتى أو فى الدور العلوى : «إن منيرة لا تمشى ولكن موضوعاتها تتنقل الى جميع الفصول ...» .

أما مديرة المدرسة فقد كانت دائما تقول .. «إذا وجدتم خلية نحل فاعرفوا أن منيرة فى وسطها» .

يكفى لتعرف مدى الاصرار على التماثل مع الآخريات بل والتفوق عليهن .. اننى أصررت فى يوم من الأيام على أن أشارك فى تمثيل مسرحية مدرسية كان موضوعها يدور حول التاريخ الشعبى للبحرين ..

□ ولكن المسرح يقوم على الحركة ؟ قالت ضاحكة ..

■ وعلى الحوار كذلك وعلى المونولوج .. والغناء .. ومعنى ذلك أنك يمكن أن تجد للمعاق دورا .. وفعلا لقد أوجدت لنفسى دورا .. قلت للمديرة :

إن بطلة المسرحية إمرأة تجلس طوال الوقت فى مكان واحد وتروى لإبنتها صورا عن تاريخ البحرين .. وهذا الدور يلائمنى ، وكان لى ما أردت ورفعت على الخشبة ..

لقد كان يوما مشهودا .. ولم ينقطع التصفيق مدة طويلة وبعض الراهبات العاملات بالارسالية الأمريكية صعدن على خشبة المسرح تعبيرا عن الإعجاب بى ..

لقد كانت أياما حلوة فعلا ..

حكاية أخرى قد تستغربها ولكنها واقعية .. لقد أصررت وأنا فى المدرسة أن أكون ضمن المرشدات ورفضت المشرفة فقلت لها : لأنك تنظرين الى بأننى معاقة ترفضين ذلك ! وقررت العزم على التحدى .. فجمعت الطالبات وطلبت منهن لبس زى معين .. ونظمتهن بشكل معين وفوجئت المشرفة بأننى نجحت فى العملية فكان لى ما أردت .

كنت كذلك ألقى الكلمات والقصائد فى الاذاعة المدرسية على مدى سنوات .

حتى الرياضة شاركت فيها وأصررت على ذلك وكنت ألعب مع زميلاتي بدون عقد ..

قلت لمنيرة : أنها لوحات عن الارادة الانسانية فى تجلياتها !

توقفت منيرة عند هذه المحطة كثيرا ولكنها لم تدع الفرصة تمر دون أن تذكرني بأن المجتمع هو الذى يخلق الأوهام ويحولها الى حقائق عرفية ترسخ فى الأذهان مع مرور الزمن وهذا ما نسعى فى مركز الحراك الى تغييره ، أولا لدى المعاق نفسه وثانيا فى المجتمع ..

قلت لمنيرة وقد نقلتني الى شاطىء آخر .

□ كيف بدأت فكرة المركز ؟

■ الدور الأكبر فى تأسيس هذا المركز يعود الى حنان كمال ، وأليس معلوف .. فبعد مشاركتهما فى لندن فى ندوة حول المعوقين جاءت فكرة تأسيس فرع للحراك الدولى بالبحرين وكان ذلك عام ١٩٧٩م وقد احتضنت وزارة العمل الفكرة ووجدنا من جميع المسئولين فى البحرين كل عون . وصدقني لم نقصد فى يوم من الأيام أى مسئول وسد فى وجوهنا الباب إبتداء بسمو أمير البلاد المفدى ومرورا بالوزراء والأشخاص والموظفين بجميع رتبهم . إن البحرين بلد خيرة وطيبة وبذرة الخير منتشرة بشكل واسع . ووجودنا فى البحرين هو الذى كسر الاعاقة «أكيد لسنا فى بلد غني .. ما عندنا فلوس ولكن عندنا نفوس خيرة وطيبة والحمد لله !

نحن نتلقى المساعدات من وزارة العمل والمؤسسات والسفارات والمؤسسة العامة للشباب والرياضة فى مجال الرياضة خاصة ..

□ هل ما زالت لكم صلة بالحراك الدولى ؟

■ فى الحقيقة بعد أربع سنوات تعلمنا منهم الكثير وجدنا أنفسنا فى حاجة الى الاعتماد على أنفسنا ، وتأكدنا بأننا يمكن أن نكون خبراء أنفسنا ومن صلب المعاناة اليومية تتولد الخبرة لا من الكتب والنظريات !

□ تتكلمين عن المعاناة .. من لحظات شعرت وكأن منيرة بن هندى لا تعاني من شيء !

■ لا .. أبدا أنا إنسانة ومن لا يعانى ليس إنسانا .. ولكن قصدى طبعا المعاناة بمعناها النبيل الفاعل المريد لا بمعنى المسكنة والبكائية .. هذا المعنى تجاوزته والحمد لله .. قلت لها كمن أراد فتح معركة بسوء نية :

□ قرأت مقالا لفوزية رشيد فى صحيفة الخليج الاماراتية فأحسست بأن عالم المعاقين (وخاصة بالنسة للمتخلفين عقليا) ، عالم يسكنه الألم واللامعنى و ....

قاطعتني كمن أراد أن يحسم معركة لم تبدأ بعد :

■ أنظر .. المعاق ليس فى حاجة الى الشفقة ولا الى القصائد الرثائية .. لأن الرثاء لا يقدم ولا يؤخر .. بل هو فى حاجة الى عناية تعينه وتمده بالقوة والثقة فى النفس وهو لا يطلب من المجتمع إلا أن يعامله بقدر كبير من الاحترام .. وتأكد من أن المتخلفين ذهنيا تخلفا عميقا يشعرون ويحسون وهم فى حاجة الى أن نعاملهم كبشر ..

□ لكنهم ناقصون وهذه حقيقة لا يمكن تجاوزها ..

■ نعم .. ولكن بهذا المعنى كلنا ناقصون وكلنا معاقون أنت معاق من الناحية المادية لأن ثمة أشياء كثيرة تريد بلوغها ولا تصل اليها .. وهذا معاق اجتماعيا .. وهلم جرا ..

وفى دراسة حديثة فى أمريكا وقع تصنيف الاعاقة الى تسع وتسعين صنفا .. ولا أريد الدخول فى التفاصيل ولكن يكفى أن أقول لك بأن العديد من الظواهر التى تبدو لنا عادية فى البلدان النامية هى فى البلدان المتقدمة شكلا من أشكال الاعاقة .

وفضلا عن ذلك كله فإن المعاق بالمعنى السائد لا يمثل خطرا على سلامة المجتمع بينما المعاقون نفسيا واجتماعيا وماديا وأخلاقيا قد يهددون أمن المجتمع ونظمه وقوانينه .. ومركز الحراك لم يفعل شيئا سوى أنه أعاد للمعاقين الثقة فى النفس .. والايمان بالحياة ..

□ كيف تتعاملين مع هؤلاء فى مركز الحراك بصفتك رئيسة المركز ؟

■ نفس الأسلوب الذى عاملني به أهلى .. لا رئيس ولا مرؤوس عمل دائب وحركة لا تنقطع إنتاج ونشاطات متنوعة .. لقد كنا فى البداية نجرى وراء مختلف الجهات ليشركونا فى أنشطتهم الثقافية والرياضية وغيرها والآن هم الذين يجرون وراءنا لأنهم جربوا العمل معنا واقتنعوا بنا . والأهم من كل هذا أننا نجحنا فعلا فى تغيير نظرة المجتمع الى المعاق عامة .. وهذا ليس بالأمر الهين ، فمنذ سنوات كان إدماج المعاق فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية أمرا صعبا جدا .. والآن لا نقصد مكانا أو وزارة أو مؤسسة إلا ووجدنا منها التفهم والقبول ..

ولماذا أقول لا يجب أن نخلق من الاعاقة إعاقة ..

أنظر الى هؤلاء الذين يحيطون بك ، هل تشعر حقيقة بأن فيهم معاقين بالمعنى الدارج ؟ أكيد لا .. هؤلاء كانوا فى حاجة الى مثال ولما وجدوه تحرروا !

معنى ذلك أن منيرة بن هندى تعد مثالا لهؤلاء ؟؟ ..

قالت كمن أراد أن ينهى الحديث :

■ يمكنك أن تسألهم .. وبعد ذلك أحكم .. ولكنني أريد أن أوجه من خلال حديثى هذا دعوة حب مفتوحة الى جميع المعاقين .. فى البحرين ، إن مركز الحراك مفتوح ..

وليس هنالك شروط محددة باستثناء شيء واحد هام جدا .. وهو إرادة الحياة ..

لسنا فى حاجة إلى رثاء!!

المقطع الثالث :

صوت دافىء يتخلل الحديث ويردد قول الشابى ..

ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر فى حرها واندثر
ومن لا يريد صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر
هو الكون حى يحب الحياة ويحتقر الميت مهما كبر ..

قلت لمنيرة : إنك تحفظين الشعر !!

■ وأكتب الشعر كذلك ..

وهكذا تحولنا الى مملكة الشعر وكانت منيرة بين الفترة والأخرى تقرأ لى بعضا من قصائدها .. التى تدور فى مجملها حول الإرادة والاصرار والعزم ..

قلت لها : لم لا تكتبين رواية تشمل كل هذه الأحداث .. والتفاصيل عن حياة فتاة مناضلة ..

قالت : قد يكون ذلك بعد ثلاث سنوات إن شاء الله ..

صورة تذكارية :

ألا تخشى عندما تسألنى أيها الزمن الحزين ؟
أالين إليك أم لا الين ؟
هذا سؤال لن أجيب عنه إلا بعد حين ..
بعد أن أجرب وسائل الصبر كلها ..
بعزيمة وإرادة لا تلين ..
أنت جبان لا تنتصر إلا على الضعيف !
ومع القوى ، أنت الذى تلين !

الامضاء : منيرة بن هندى